دكتور تمام حسان

مناهج البحث في اللغة

١٩٩٠

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

جيلنا هذا الذى نعيش فيه من أقل الأجيال المصرية حظاً من الدعة والراحة والطمأنينة ؛ لأن المرحلة التاريخية التى يمر بها هذا الجيل تتطلب منه أقصى غايات اليقظة ومنتهى آماد الجهد . لقد عاشت مصر قروناً طويلة فى ظل الاستعباد والخوف والجهل وفقدان الثقة بالنفس ، فكانت الأجيال التى عاشت فى هذه القرون تألف الاستعباد فلا تتعلق بالحرية ، وترضخ للخوف فتعزف عن التعبير ، ويغمرها الجهل فلا تبتكر فى العلم ، وتعوزها الثقة بالنفس فلا تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام .

ذلك الطابع السلبى فى الحياة المصرية كان صفة غالبة فى كل مجالات النشاط الفردى والاجتماعى : فقد المصرى الاعتداد بالنفس فى السياسة فساسه كل طامع حتى المماليك ، وفقد اعتداده بنفسه فى العلم فرضى بالقابلية دون الفاعلية : القابلية التى تقنع من المجهود العلمى بترديد آراء السلف ، دون الإضافة إليها ، والفاعلية المنتجة التى لا يستغنى عنها شعب يريد الحياة لنفسه . وفقد الاعتداد بالنفس فى الحرب ، فأصبحت جيوش مصر من غير أبناء مصر ، وفقد الاعتداد بالشعب فلم تقم فى مصر ثورة واحدة ذات خطر طوال هذه الآماد الطويلة التى مرت على مصر المستعبدة الخاضعة .

ثم هبت على مصر ريح جديدة شعبية وطنية فنفخت فى الصور ، وهب الراقدون من موتهم حيارى فى هذا الفزع الأكبر لا يدرون أى طريق يسلكون ولا أى سبيل يقودهم إلى النجاة والفلاح . وتشعبت المسالك أمام الشعب بعد أن تثاءب وتمطى ونفض عن نفسه غبار الموت ، فوجد أمامه طريقاً فى الماضى يقوده إلى التراث العربى الخصب ، ورأى أنه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعاً

لعزة جديدة لا تقل روعة عن التاريخ العربي نفسه ، ووجد أمامه طريقاً فى المستقبل معالمه ما فى أيدى الأمم من علوم ومعارف يمكن أن ترق بمصر إلى مستوى هذه الأمم ذات العلوم والمعارف . ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب لا نقطع به التاريخ عن الحياة ، ولو سلك الثانى فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحى إليه بالاعتزاز ، ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة .

إذاً فجيلنا الحاضر نهب بين الشرق والغرب ، لا فى الثقافة وحدها ، وإنما هو كذلك فى العادات وطرق المعيشة . وهذه النفس الموزعة بين الشرق والغرب لابد أن تكون نفساً قلقة غير ذات استقرار ، حائرة تتطلب الهدى ، وطموحة تتطلب وحدة الهدف ووضوحه ، فإذا أضفنا إلى هذا العنصر من عناصر الحيرة والاضطراب والقلق أن القادر قد ألقت على كاهل جيلنا هذا أخطر تبعة تلقى على الأجيال ، ألا وهى تبعة البناء من الأنقاض ، وتمهيد الطريق ووضع معالمه للأجيال القادمة ؛ تبين لنا مقدار خطورة هذا الجيل فى التاريخ المصرى الحديث .

ولست بحاجة إلى أن أنبه إلى أن هذا الجيل أهل للقيام بهذه التبعات ، فلقد هدم نظاماً كان ثابتاً كالطود ، وأقام مكانه نظاما أثبت وأقوى وأصلح . وجيلنا هذا هو الذى هاجم الجدب فى الصحراء ، والفساد فى المجتمع ، والرشوة فى الحكم ، والكسل فى العمل ، والتسويف فى الإصلاح ، والبلادة فى الضمائر ، وسيصل بعون الله إلى نتيجة باهرة لكل هجمة من هذه الهجمات .

نحن إذاً فى تطور يجب أن يشمل كل مرافق حياتنا من سياسية إلى علمية إلى اقتصادية إلى حربية إلى اجتماعية إلى غير ذلك . وواجب المصرى من هذا الجيل ألا يقنع بما هو كائن ، وأن يفكر تفكيراً مضنياً فيما يجب أن يكون . وهذا هو المعنى الذى حفزنى إلى أن أحاول هذه المحاولة فى تجديد مناهج البحث فى اللغة بفروعها المختلفة ، وهى محاولة أترك الحكم عليها للقارىء .

ولست أريد أن أنهى القول فى هذا التقديم دون أن أنبه إلى بضع ملاحظات هامة ، أولاها اعتذارى عما فى هذا الكتاب من أخطاء مطبعية لم آل رغبة فى

تجنبها ، ولكن الكمال لله وحده . وسيجد القارىء قائمة بتصحيح هذه الأخطاء ، فهو مرجو أن يطلع عليها ، وأن يثبت كل تصويب منها فى موضعه قبل البدء فى القراءة .

وثانيتها أننى قد حددت الرموز الأصواتية المستخدمة فى دراسة اللغة العربية الفصحى بين صفحتى ٦ و ١٣٠ ولست بحاجة إلى تحديد الرموز الأصواتية للكلمات الإنجليزية التى وردت فى منهج الدلالة لأن كل مثال منها قد صاحبته كتابة الكلمة المرادة بالهجاء العادى ، وهذا الهجاء يعين المراد بالكتابة الأصواتية . وقد وردت كلمات من لهجات الكرنك وعدن والقاهرة فى أثناء شرح منهج الأصوات وكان لابد من كتابتها بالرموز الأصواتية لهذه اللهجات ، ولكن المطبعة العربية فقيرة فى هذه الرموز ، ولذلك عمدت إلى ما فى يدى منها فعلا ، فحاولت استغلاله فى كتابة هذه الكلمات . وأظن القارىء سيجد تبايناً بين استخدام هذه الرموز من لهجة إلى أخرى ، وهو تباين يقتضيه اختلاف النطق بين هذه اللهجات .

وأخيراً أرجو مخلصاً أن تكون هذه المحاولة فاتحة محاولات أخرى فى دراسة لهجاتنا العامية من جميع نواحيها ، ومحاولات فى التوسع فى دراسة اللغة العربية الفصحى بطرق البحث الجديدة الموضحة فى هذا الكتاب . والله أسأل أن يهدينا إلى سواء السبيل . إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

تمام حسان